بين التوحيد وتقبيل الأعتاب

تأليف
ربيع الزواوي

بين التوحيد
وتقبيل الأعتاب

تأليف

ربيع الزواوي

قال رسول الله ﷺ:

«الديــن النصيحــة»

لقد أحزننا وأحزن كُلَّ موحّد ما نشرته جريدة «عقيدتي» وجريدة «اللّواء الإسلامي» حول موضوع مولد الشيخ الشعراوي..

والحق أن كلتا الجريدتين قامت بتغطية كاملة للموضوع بتجرد، ذكرت فيه ما قيل سلبًا وإيجابًا، ونحن نعلّق فقط على ما ورد في التحقيق الذي جاء في «عقيدتي»، وكان ذلك التحقيق بتاريخ الثلاثاء ٨ من ربيع الأول ١٤٢٠ هـ، ٢٢ يونية ١٩٩٩ م؛ تحت عنوان: (*فعلاً.. مولد وصاحبه غاضب!!*)، وبعد قراءة التحقيق تبين أن صاحب المولد الغاضب هو نجل الشيخ الشعراوي الأكبر

الحاج عبد الرّحيم الّذي نشر عنه التحقيق بالخط العريض قوله: «**والدي كان يقبّل أعتاب الأولياء**»، وكأنه بذلك يواجه أمّة الإسلام كلها بدليل قاطع على جواز إقامة هذا الضريح الذي ذكرت جريدة اللواء الإسلامي أنه أنفق عليه أكثر من (١٥٠) ألف جنيه مصري؛ في تحدٍ صارخ عبّر عنه كاتبوا التحقيق في جريدة عقيدتي بقولهم: «**كانت البداية عند ضريح الشيخ. الّذي أصرّ الحاج عبد الرّحيم نجل الشيخ الشعراوي أن يضيف به ضريحًا جديدًا لآلاف الأضرحة ومقصورة فخمة إلى مئات المقصورات،**

وإضافة مولد جديد لآلاف الموالد المنتشرة في جميع مدن ومحافظات مصر.. مولد العارف بالله سيدي محمد متولي الشعراوي».

ويبدو أن الحاج عبد الرحيم النجل الأكبر للشيخ الشعراوي راح يتلمس الأدلة التي يجيب بها على تلك الأسئلة الصريحة التي يلقيها عليه كاتبو التحقيق الذين لم يجدو من أهل العلم والشخصيات الدينية الذين يعتد بقولهم أحداً؛ لا سيما الشيخ سامي الشعراوي الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية الذي ذكر إنه لم يوافق على موضوع مولد لوالده.

فراح الحاج عبد الرحيم ينفي ذلك، وقد جاء في التحقيق تحت عنوان: *(الكبار يمتنعون)*: *«انتشرت شائعة منذ الصباح الباكر عن حضور شخصيات دينية وسياسية كبيرة لتشارك في المولد.. بحثنا عنهم داخل المركز الإسلامي.. في خيمة الشعراوي.. لم نجد أحدًا، حتى نجل الشيخ الشعراوي الشيخ سامي الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية لم يحضر.. الناس في دقادوس ومدينة ميت غمر تناقلوا شائعات.. رفض الشيخ سامي لهذا المولد، وهذا ما أكده الرافضون لهذه المظاهر، قالوا: إن الشيخ سامي لم يوافق*

على هذا الهراء.. ولذلك لم يحضر.. تزداد الإشاعة وتؤكد أن الشيخ سامي على خلاف، وحدث بينه وبين أخيه عبد الرحيم مشاجرة كبيرة لمنع هذه الممارسات، الحاج عبد الرحيم ينفي هذه الإشاعات مؤكدًا أن الشيخ مشغول بأعمال في القاهرة وأرسل زوجته وأولاده لحضور المولد، وهذا تأكيد على موافقته، وأراد عبد الرحيم أن يغلظ القول عن أي إنسان لا يوافق على هذا العمل حتى لو كان أخاه نفسه».

ولَمَّا عُوتب الحاج عبد الرحيم نجل الشيخ الشعراوي حول موضوع المقصورة الشاهقة

التي كلّفها (١٥٠) ألفًا فوق قبر والده قال: «**الشيخ الشعراوي رحمه الله يأتيه زوّار من جميع أنحاء العالم.. فهل يعقل أن يراه هؤلاء الزوّار يرقد في قبر صغير لا يتناسب مع حجمه العلمي والأخلاقي؟!**»، ونحن لاينتهي عجبنا؛ لماذا يأتي إلى قبر الشيخ الشعراوي زوّار من جميع أنحاء العالم؟! هل زيارة قبر الشيخ الشعراوي الذي لم يمضِ على وفاته سوى عامًا واحدًا أصبح من معالم الشرك العالمية حتى يقصدها الزوّار من جميع أنحاء العالم؟ هل تناقل النّاس سريعًا أن قبر الشيخ الشعراوي أصبح مزارًا لهم على مستوى العالم

كـما يؤكـد الحاج عـبد الرحـيم؟ اللهم إلاَّ إذا كـان الأمـر مـبـيـتًّا باتفـاق بين جـمـاعـة من «الدراويش» عالميًا!!

وهل تشد الرِّحـال من جميع أنحـاء العالم لزيارة قـبـر كـائن من كـان، والرّسـول ﷺ يؤكد: **«لا تُشـد الرِّحـال إلاَّ إلى ثلاثـة مساجد»**، مـعـروفة لكلّ الأُمّة الإسـلاميّة، ولايخالف في ذلك إلا جـماعة الدراويش في جميع العالم الإسلامي للأسف الشديد.

ولعلّ الحاج عبد الرحيم لم يعجبه أن ينفرد هذا الدّليل السـابـق في أدلة احـتـجـاجـه على علماء المسلمين الذين يحبون الشيخ الشعراوي

ويقدّرونه فأردفه بقوله: «... **بالإضافة إلى أن طبيعة الأرض لدينا أرض رخوة، مشبعة بالمياه الجوفية، لو تمّ الدفن فيها لتحلل الجسد فور نزوله القبر، ولذلك نعمد إلى بناء مقبرة مرتفعة حماية للجثة من التحلّل وغير ذلك..**».

ونحن نتسائل - كما يتساءل غيرنا - ماذا يفعل أهل دقادوس جميعًا؟ هل يفعلون لموتاهم هذا المشهد المحظور شرعًا؟!

كيف يُدفن الفقراء وعامة الناس هناك؟ وإن كان هذا هو غالب مدافن ريف مصر

كلها؛ فهل يفعل الناس جميعًا كلهم كما فعل الحاج عبدِ الرحيم؟!

ولماذا يخاف الحاج عبد الرحيم على تحلّل الجسد فورًا؟ هل بقاء الجسد سليمًا في القبر بدون تحلل مطلب يُسعى إلى تحقيقه؟ وهذا حال البشر جميعًا؛ حيث يعودون إلى ما خلقوا منها، اللهم إلا المرسلين والنبيين عليهم جميعًا الصلاة والسلام.

ويبدو أيضًا أن الحاج عبد الرحيم لاحظ أن ارتفاع المقصورة الشاهقة لا علاقة له بالأرض الرخوة فراح يبرّر علو تلك المقصورة

بقوله: «***كما أن هذه المقصورة تعدّ حماية للزوار الذين يفدون من كل مكان من حرارة الشمس وغيرها..***».

ولَمّا اشتدت أدلة المعارضين على الحاج عبد الرحيم راح يتهمهم بأنهم حاقدون، يودّون لو يحدث لهم نصف ما حدث للإمام؛ بل زاد على ذلك مبيّنًا أن ذلك كان أسلوب الشيخ الشعراوي فيقول: «.. ***فهذا المولد كان أسلوب الإمام، فلو لم يرضَ لما كان يذهب للأولياء.. كان يذهب لإبراهيم الدسوقي، وكان له خدمة بالسّيدة نفيسة والإمام الشّافعي والإمام اللّيثي، وكان كلما نزل إلى***

طنطا قام بزيارة سيدي أحمد البدوي ويقبّل الأعتاب، وكانت هذه المشاهد على الملأ أمام أعيننا..».

ونحن لا ندري ما علاقة الحاقدين وأمر عظيم ينبغي على أهل العلم أن يبيّنوه ولايكتمونه؟ ويا ترى من الحاقدون على الشيخ الشعراوي الذين يقصدهم الحاج عبد الرحيم؟ هل الشيخ سامي نجل الشيخ الشعراوي، والشيخ المقدام سيد أحمد الحضري إمام مسجد الشيخ الشعراوي بميت غمر من أولئك الحاقدين؟

وعلى كل حالٍ فحتّى لو كان الشيخ الشعراوي كما يصفه ابنه الحاج عبد الرحيم يقبّل الأعتاب ويفعل كل ما ذكر الابن عن أبيه؛ فهل هذا دليل شرعي يسوّغ ما يفعله الحاج عبد الرحيم؟ وقد أفضى الشيخ الشعراوي إلى ربه وما على الأحياء إلا تلمّس هدي الإسلام الذي جاء بالتوحيد الخالص، وكل إنسان يؤخذ من قوله ويرد إلا المعصوم ﷺ، ونحن وكل من يعرف الشيخ الشعراوي يعلم أن فيه صوفية كان لا يحب الخوض فيها، وهذا ما أكّده أبناء الشيخ الشعراوي؛ حيث جاء في التحقيق: «*يرى أبناء الشيخ*

الشعراوي وحواريوه(!!!)» أنه ـ رحمه الله ـ كان شغوفًا بالموالد، يحضرها.. يباركها.. ولا ينكرها، يؤكد هذا المعنى المخرج عبد النعيم شمروخ الّذي أخرج جميع حلقات الشيخ التلفزيونية ويقول: «ذات يوم بعد أن سجلنا عدّة حلقات.. قال لي الإمام: اليوم مولد السّيدة زينب.. ولا بد أن أذهب إليه. فأشفقت عليه من الزحام وإقبال الجماهير عليه.. وأخبرته أن هذا سوف يجهده ويتعبه، فقال: لا بد أن أذهب. وحول إصراري على منعه فاقترح أن يلبس زيًا مغربيًا يغطي وجهه، وبالفعل ارتدى هذا الزّي وذهب إلى المولد

ليتجوّل بين الناس في المولد..»، ويقول زوج ابنته: «.. ***كان يأخذنا إلى مساجد الأولياء وآل البيت يقبّل الأعتاب ويحضر الموالد ويطعم الزوّار وليس هناك أحد يستطيع أن يدّعي أنه علم بوصية الإمام في منع الموالد، وإذا كان البعض يريد حقًّا منع هذا المولد فليمنعوا الاحتفال بالمولد النبوي الشريف»!!***

وهنا أيضًا نتساءل: من يحتفل بالمولد النبوي وأين يحتفل؟ هل عند المقصورة الشاهقة وتقبيل الأعتاب؟ ومتى كان عادات عامة الناس ورعاعهم إجماعًا من الأمة بإقرار الشيء أو بطلانه؟

ثم مضى الحاج عبد الرحيم يبيّن مبرراته للموالد فيقول: «.. **والمولد هنا.. عبارة عن احتفال مادي بما لمنزلة هذا الولي من حب عند الناس، أما عند الله فقد قابل ربه «هكذا» وأخذ حسابه.. والمولد شريحة من المجتمع تجمعت في مكان واحد به الفاسق والعالم.. ومولد الشعراوي ليس أعمال الوثنية»**.

وواضح أن الحاج عبد الرحيم هداه الله يظن أن مولد الشعراوي طرازاً خاصاً من الموالد؛ فلن يكون فيه ما يوجد في الموالد الأخرى من.. ومن.. رغم أن التحقيق كان

من عناوينه العريضة: (***مولد الشعراوي تحوّل إلى ملهى للدراويش - مهرجان للحمّص والحلوى ولعب الأطفال***) هذا في أول مرة يتم فيها المولد فكيف بالأعوام القادمة، وحتى لا يتصور أحد أن ذلك سيفلت من يد الحاج عبد الرحيم نجل الشيخ الشعراوي فيقول: «***وأنا عمدة هذه البلدة، وهي تحت سيطرتي، ولن أسمح لأي تجاوزات من حشيش أو قمار أو غير ذلك***»، هل سيبقى الحاج عبد الرحيم عمدة البلد أبد الدّهر؟ هذا لو سلّمنا أنه سيمنع التجاوزات.

وأيضًا حتى لا يتهم أحد الحاج عبد الرحيم أو أبناء الشيخ الشعراوي بأنهم يفعلون ذلك للتكسُّب من صندوق النذور عند الضريح؛ يقول الحاج عبد الرحيم: «*ويكفي أننا منعنا وضع صندوق لجمع التبرعات بجوار قبره.. وهذا لم يحدث فلا بد أن يظل أولاده أسيادًا بفضل الله*».

هذا كل ما يمكننا التعليق بصدده في ما جاء في تحقيق مجلة «عقيدتي» من كلام عمدة البلد وصاحب المولد الغاضب نجل سيدي العارف بالله محمد متولي الشعراوي.

ولكن الّذي يدمي القلب أن يشارك حملة الرسالة وأهل العلم في الحملة الدعائية لإقرار ذلك المولد الجديد الذي سيضيف إلى رصيد مصر في الموالد مولداً جديداً وضريحاً غير عادي يصل ارتفاعه عشرة أمتار، كما ذكر التحقيق، ومن أولئك فضيلة الشيخ محمد عوض السّنراوي مدير عام المناطق بالمعاهد الأزهرية الذي راح يبرّر أمر المقصورة الشاهقة بغريب وعجيب من القول فيقول: «**بالنسبة للمقصورة.. فلنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، وإذا كانت المقصورة خطأ؛ فهل وجود مقصورة في الروضة الشريفة خطأ؟**».

ونحن نقول لفضيلة الشيخ السنراوي: متى كان هذا البناء الذي شيّده أحد حكام المسلمين في القرن السادس الهجري على قبر الرسول ﷺ دليلاً تبيح لنفسك أن تستدل به يا فضيلة الشيخ في أمر من أمور العقيدة؟ أتأخذ دليلاً لك وللحاج عبد الرحيم هذا البناء على قبر الرسول ﷺ وتترك ما حذر منه صاحب القبر ﷺ ونهى عنه، ونهى أن يزاد البناء على القبر فوق الشبر، ووصيته - بأبي هو وأمي - عليه الصلاة والسلام وهو في فراش الموت: **«لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد»**، وكان

يقـول في نفس الوصـيّة: «**فلا تتخـذوا قبري عيدًا**»، ثم يتـوجـه إلى ربه يسـتـودعـه أمتـه، ويسألـه عليه الصـلاة والسلام قائلاً فـي دعائه الأخير: «**اللهم لا تجعل قـبـري عيـدًا**»، وفي رواية: «**وثنًا يُعبَد**».

بعد كـل ذلك؛ وتستدل يـا فضيلة الـشيخ على عكس ما علّمنا الرسول ﷺ بالبناء الذي شُيّد على قبره؟ وما أمر النبي ﷺ به ولارضيه وتترك ما أوصى به وحذر منه؟

العجيب أيضًا أن الشـــيخ الـسنراوي لايجـهل ذلك بدليـل أنه أتى بطامـة الأدلّة في تسويغـه لتلك المقصـورة الشاهقـة فيـقول ردًا

على من قـالوا: «*إن المقـصورة تـؤدّي لعبـادة الشـيخ: إن العـقل الإنسـاني الآن في مـرحلة النضج لا في مـرحلة الطفـولة (!!) هل هناك عـقل يتـخـذ من الوفـاء للصـالحين طريقًا إلى عبـادة غير اللَّه؟! إذا كُنّا في القرن العـشرين نميز آثار فـرعـون ونعـالج أنف أبو الهـول؛ أليس ذلك مدعـاة لما نقول؟ والعقل البـشري عقل حضاري.*. إلى أن يقـول: *الشـيخ رحمه الله وضـع قانون الاحتفال به قبل أن يموت*».

ونحن نسأل: ماذا يقصد الشيخ السنراوي بقوله: العقل الإنسـاني الآن في مرحلة النضج لا في مرحـلة الطفولة، وقـوله: العقل البـشري

عقل حضاري؟ هل يقصد أن الناس أصبحوا عاقلين لدرجة لا يُخاف عليهم من الوقوع في الشرك، والشيخ يعلم أن الملايين التي تحضر تلك الموالد ناس لا رصيد لهم من العلم؛ بل هم من عامة الناس وطبقات المجتمع الذين فيهم أعداد لا حصر لها تدعو الأضرحة صراحة بلسان فصيح يقطر منه الشرك الأكبر في عبارات يخجل ضمير الموحّد من سماعها، هل باعة الحُمّص والحلوى ولعب الأطفال والنساء والشباب و...، و..... عقلهم في مرحلة النضج وعقلهم حضاري؟

وتساءل أيضاً من أي مصدر عرف فضيلة الشيخ السنراوي ذلك الخبر أن العقل الإنساني الآن في مرحلة النضج؟! ولا تقوم الساعة - كما أخبر الرسول ﷺ «**حتى تعبد فئام من أمتي الأوثان**»، وعندما يقول كما جاء في صحيح البخاري في شأن مشاهد الشرك عند ذي الخلصة «.. **حتى تضطرب أليات نساء دوس عند ذي الخلصة**» وهو مشهد شركي أبطله رسول الله ﷺ بعد فتح مكة. أما يعرف الشيخ السنراوي ذلك؟! ومتى كان أنف أبي الهول دليلاً في دين الله تعالى لا سيما في العقيدة؟!

وراح الشيخ السنراوي يشرح أدلة تلك الموالد كما جاءت في القرآن الكريم، ويبين ما في الموالد من فوائد عظيمة ودروس مفيدة فيقول: «*عندما تشعر القلوب بحب إنسان وحب منهجه نحو الله، فمن الوفاء أن نحيي ذكراه، وإحياء الذكرى مأمور بها في كتاب الله ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ والذكر هنا مآثر رجل صالح استقى من منهج الله..*».

وأسأل الشيخ السنراوي عن اسم التفسير الذي ذكر هذا التفسير لتلك الآية الكريمة، أم هو التقوّل على الله تعالى بلا دليل؟ هل

الذكرى في الآية الكريمة هي إحياء ذكرى الأموات بالموالد؟ من أين أخذت هذا التفسير يا فضيلة الشيخ؟!

ثم وجد الشيخ السنراوي أدلة أخرى لما يسوّغه هو والحاج عبد الرحيم نجل الشيخ الشعراوي في القرآن أيضاً، فقال: ﴿*كرّم الله سبحانه وتعالى أصحاب الذكريات في كتابه العزيز عندما كرّم مريم واصطفاها وأحاطها بجميل العناية وعظيم الرعاية، فلو كانت الذكريات مرفوضة فكيف يكرّم الله سبحانه وتعالى مريم؟*﴾.

ولست أدري لماذا يخلط فضيلة الشيخ السنراوي الأمور ببعضها؟ ما علاقة أن يذكر الله سبحانه وتعالى في قصص القرآن الكريم مريم وغير مريم عليها السلام، ومولد الشيخ الشعراوي وعمل مقصورة وضريح شاهق على قبره؟!

ثم هل دعت الآيات لإقامة مولد لمريم عليها السلام وبناء مقصورة شاهقة على قبرها؟!

* * *

ولا يزال الأمل معقودا أن يتدخل فضيلة الشيخ سامي الشعراوي بثقله وخوفه على الإسلام والمسلمين وحفظًا لتراث الشيخ الشعراوي في هذا الأمر ويتفق مع أبناء الشيخ وإخوته على كلمة الله إرضاء لله تعالى وحفظًا لدينه، وليس لهوى الدراويش، والله غالب على أمره، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

ربيع الزواوي